أهم الثورات:

ثورات القرن 19م:

**شهدت نهاية القرن 18م بداية انهيار الحكم العثماني بالجزائر، وازدياد رقعة السخط الشعبي. لقد ترتب عن تراجع مداخيل الغزو البحري اختلالا ماليا وضغطا على الأرياف، ما سمح بنشوب ثورات أكثر تنظيما وخطورة من الثورات السابقة. والجديد في هذه الثورات هو أن زعماءها وقادتها كانوا من رجال الطرق الصوفية الذين كانوا قبل هذا التاريخ حلفاء للحكام، لهذا اتخذت هذه الثورات صفتها الشعبية الواسعة بمؤازرة هذه الفئة الاجتماعية التي كانت تتمتع بنفوذ روحي ومادي في المجتمع الجزائري.**

ثورة درقاوة:

ثورة ابن الأحرش سنوات 1804م-1807م:

قاد ثورة درقاوة بالشرق الجزائري ابن الأحرش الذي قال أنه مغربي، وحارب العثمانيين بالشرق. وابن الأحرش لعب دورا في حوادث مصر أثناء الحملة الفرنسية عليها سنة 1798م. جاء للجزائر ونشر تعاليم الدرقاوية في الظاهر واتصل ببعض المرابطين الجزائريين، أمثال الزبوشي مقدم الرحمانية بنواحي قسنطينة، والمرابط المتعصب ابن بركات زعيم أولاد دراج، واستمال المعاضيد وأولاد عيا وأولاد خلوف وأولاد إبراهيم... الذين زودوه بالمقاتلين.

استحوذ ابن الأحرش على قلوب السكان لتوفُر عنصر الزعامة في شخصيته. فهو مغامر وطموح وداهية، وهو "المهدي المنتظر"، و"صاحب الوقت". دون أن ننسى استعداد السكان للثورة بسبب تصرفات بعض الحكام لسياستهم المالية المجحفة. وما ساعده على اكتساب تأييد القبائل لدعوته، واستعدادها للسير معه وثقتها فيه، هو استقراره بجيجل، بمحراب سيدي الزيتوني لتفقيه الناس، وتأسيسه بعد ذلك زاوية ببني فرقان لتلقين الصبية القرآن وتعليم الطلبة مبادئ الفقه، ثم قيامه بعد ذلك بمحاربة النصارى، فسلَح عدة سفن بميناء جيجل، وأرسلها لتعقب البواخر الفرنسية التي اعتادت التردد على سواحل القل وجيجل للصيد والتجارة، حيث في سنة 1803م استولت إحدى سفنه على سفينة فرنسية تابعة لشركة القالة، وتوجه بها أتباعه إلى ناحية وادي الزهور حيث كان يقيم، ما دعم موقفه، وزاد من التفاف الناس حوله.

وعندما تفطنت حكومة الداي لخطورته أرسلت أربع سفن إلى مرسى الزيتون لتهدئة القبائل والقبض عليه، لكن إخلاص القبائل له حال دون ذلك، ما اضطر البحارة للعودة للجزائر دون طائل. فزاد تهاطل الناس عليه، وراح يحكي بطولاته بمصر، وتنبأ بأحداث عظيمة، وقال أنه صديق الإنكليز الذين أخرجوا الفرنسيين من مصر. وجهز نفسه للجهاد لدرجة أن الحامية العثمانية بالمنطقة هربت ليلا، ثم تبعتها نوبة القل. وأصبح ابن الأحرش الحاكم الوحيد بجيجل، وكلف بحمايتها الكرغلي أحمد بن درنالي، وذهب هو لمحاربة الفرنسيين بحرا في جوان 1804م. نجاحاته وعنفه وغرابته منحوه نفــوذبالمنطقة.

لهذا تجرأ وهاجم قسنطينة، غير أن سكان المدينة ردوا الهجوم بقيادة شيخ البلد الفكون. وهرب ابن الأحرش بعد جرح في فخذه، وتناهي أخبار لأتباعه أن الباي اقترب من المدينة (كان في محلة لجمع الضرائب)، ولحقت خيالة الباي بالهاربين، وقتلتهم لدرجة أن القبائل بقت شهرا دون أن يجرأ أحدا منها على النزول لدفن ذويه. وكتب الباي عثمان بن الباي محمد الكبير(1803م-1804م) للباشا عن أحداث محاصرة قسنطينة، وخروجها منتصرة من الحصار، فرد عليه الداي: "رأسك أو رأس ابن الأحرش"،فكان رأس الباي.

اشتبك ابن الأحرش مع العثمانيين في وادي الزهور، وقُتل خلق عظيم، كما قتل عثمان باي. فارتاع الباشا وأرسل جيشا، وعين عبد الله خوجة بايا على الشرق(1804م-1806م)، ولحق هذا بابن الأحرش إلى نواحي ميلة وهزمه، وشاع أنه مات، لكنه ظهر بعد أسابيع بجموع غفيرة وحاصر بجاية، ولولا تدخل آل المقراني لاحتلها. كما رفض سكان جيجل تسليم حليف ابن الأحرش، الكرغلي ابن درنالي لقائد حملة الباي الذي اكتفى بحرق سفينته.

وكان الباي طلب من أولاد مقران، أسياد مجانة، محاربة المتمردين، وبعث قوة عثمانية لمؤازرتهم، وقُتل ابن الأحرش في سنة 1807م. وهناك رواية أخرى مفادها أن ابن الأحرش التحق بابن الشريف الدرقاوي في الغرب، وحضر معه معركة جديوية و"بقي في معيشه إلى أن اندس له من قتله من أصحابه، ويدفنه ملك المغرب بفاس".

(انظر محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، جزء 1: سيرته السيفية، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص 77.)

واختُلف في ثورة ابن الأحرش، فمن قائل أنها ردا مغاربيا على الصعوبات التي أثارها أتباع الرحمانية بتحريض من الجزائر، ومن قائل أنها قامت بتحريض من الإنكليز الذين أرادوا خلق مصاعب أمام الداي مصطفى(1798م-1805م) الذي اتبع سياسة مشايعة لفرنسا. ورأى البعض فيها انفجارا عنيفا لاستياء عام شجعه الشيوخ الدينيون الذين لعبوا دورا بارزا في قيادة العمليات العسكرية.

ثورة ابن الشريف سنوات 1804م- 1816م :

ثورة ابن الشريف الفليتي ضد بايات الغرب استمرت سنوات، وأحدثت خرابا في المنطقة، واضطرابا سياسيا واقتصاديا واجتماعياوعسكريا في الدولة. وفي هذه الثورة ألف أبو راس الناصر رسالته "درء الشقاوة في أخبار الدرقاوة".

**ابن الشريف الدرقاوي:** هو عبد القادر بن الشريف الفليتي، من قبيلة أولاد بليل (فرندة)، تنسب إليه ثورة درقاوة بالغرب. درس بزاوية القيطنة على محي الدين، والد الأمير، ثم التحق بالمغرب واتصل بشيخ الطريقة الدرقاوية العربي الدرقاوي(توفي سنة 1823م) بزاويته ببوبريج من بني زروال. وابن الشريف هو مقدم الدرقاوية بالجزائر.

وخلال إقامته عند شيخه البوبريجي زعم له أن العثمانيين بالجزائر كفار، لا يصومون، ولا يصلون، ولا يقومون بأمر الدين، ولا يعلمون مبادئ الدين، ويظلمون الناس ويحتقرونهم، ويُهينون العلماء والأولياء..، وصورهم له في صورة كفار مارقين أنذال ظلمة، وطلب منه الإذن لمحاربتهم. فصدقه وأذن له في إعلان الحرب عليهم بكل الوسائل وقال له:"انصرهم والله ينصرك". فعاد للجزائر وأخذ يُجنِد الناس، وأنشأ الزوايا بسهول غريس وجبال بني شقران، لكنه اصطدم بشيخه محي الدين، حيث منطقة نفوذه، ولحقته إهانات منه. ويذكر محمد بن عبد القادر، صاحب "تحفة الزائر" أن ابن الشريف لما "عاد من فاس تكلم بحضرة شيخه محي الدين بما يوجب تأديبه شرعا فأدبه بالسياط واستتابه". انظر جزء 1، ص 115. فتوجه للصحراء لدى قبائل شافع والمهاجة وحميان والهضاب العليا كالأحرار.

واصطدم الدرقاوي مع الباي مصطفى بن عبد الله منزالي(1802-1805م) في فرطاسة(1804م)، وانتصر ولم ينجُ الباي إلا بنثره الدراهم على الطريق، وتراجع لوهران، وتبعه الثوار وحاصروه. وكان الدرقاوي، بعد معركة فرطاسة دخل معسكر كأمير، ثم نادى القبائل للجهاد بالغرب، وجمع الضرائب لحسابه.

وحوصر الباي بوهران، وانقطعت الطرق، ووقع الغلاء في الحبوب بالمدن (5 دورو للصاع من القمح)، وأصبح القمح يأتي بحرا، فعزل الباشا الباي منزالي، وعين بدله محمد المقلش(1805م-1808م)، ابن الباي محمد الكبير، وقد سبقته سمعة أبيه. دخل وهران بحرا، فأزال الحصار الذي دام ثمانية أشهر على المدينة، وأجزل العطاء، وجهز محلَة، ونادى مناديه أن من أتى برأس يأخذ 10 سلطانية. فوقعت قتالات ومات خلق كثير، و"اجتمعت رؤوس بني آدم مثل الجبال"،وهرب الدرقاوي فاستقر الأمر.

اختلفت الروايات حول نهاية ابن الشريف، فمن قائل أن الباي المقلش صاهر قبيلة الحشم المنشقة عن العثمانيين، فخذلت ابن الشريف الذي فر بأهله إلى تلمسان، ثم لجبال بني زناسن بالمغرب الأقصى، حيث أقام حتى وفاته. (عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، جزء 3، ص 294). وفي رواية أخرى، أنه خلال أربع سنوات من القتال الدامي، تمكن المقلش من قتل ابن الشريف، بعد تعذيبه.( Grammont : Histoire.., p 287). وفي رواية ثالثة قضى بوكابوس باي (1809-1813م) على ابن الشريف نهائيا سنة 1809م. (مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، ص 54، 55). وذكر كور أن الباي طارد الدرقاوي حتى اليعقوبية، أين مال له مرابطيها، ثم تتبعه للصحراء حيث رفضت القبائل استقباله خوفا من الباي، فلجأ لعين ماضي، لكن السكان لفضوه، فعاد لبني زناسن. (A.Cour : L’établissement, p 231.)

لقد هزت هذه الثورة حكم العثمانيين بالجزائر، وكادت تعصف بهم، لولا السياسة التي اتبعها الحكام في التفريق بين الأنصار والأتباع من أكبر القبائل، كذلك ابن الشريف أقام صرحه على كذبة أن الحكام كفار يجوز قتالهم، لكن عندما انتبه شيخه العربي الدرقاوي لكذبه تخلى عنه،وبدأ ينفَضُ من حوله الأنصار والأتباع، وحتى من كان يميل إليه، تخلى عنه خوفا من الحكام، إذ كانت حربهم ضد درقاوة ضروس.

ثورات منطقة جرجرة:

**ثارت منطقة القبائل في سنة 1815م، وسبب ذلك قتل بعض الأعيان من المقرانيين، فأعلنت القبيلة الحرب على الحاميات. وانتهزها عمر آغا، المخلوع عن بايلك وهران، للثأر من الداي، فتآمر مع وكيل الحرج واغتالاه سنة 1815م.**

**كما ثارت بلاد القبائل سنة 1820م، بسبب التذمر من جور الولاة، واصطدامها بقوات يحي آغا(أُعدم سنة 1828م). نتج عن هذه الثورة تحطم برج بوغني، وقتل الزعيم محمد أوقاسي ببرج سباو، وأعقبتها ثورة سكان ضواحي بجاية، واحتل بنو عباس ناحية البيبان، فأجلاهم عنها ابن كانون، لكن الثورة اندفعت لوادي الساحل، وحاول يحي آغا القضاء على قبيلة بني عباس بإيقاد النار في كل جهة.**

**كما ثار سكان منطقة القبائل في عهد حسين باشا(1818م-1830م) فأراد سجن من وجد منهم في مدينة الجزائر، وكان بعضهم في خدمة القنصليات الأجنبية. فهاجم الجند قنصلية الإنكليز وأخرجوا الزواويين الذين بها، واحتج القنصل وغادر المدينة، ثم جاءت عمارة إنكليزية، لكنها عادت من حيث جاءت لأنها لم تستطع قنبلة المدينة لخروج البحرية الجزائرية للقائها.**

**ثورة بوسعادة وفليسة سنة 1814م:**

تمرد أولاد ماضي بالحضنة وانهزم باي التيطري جعفر(1813م-1815م) أمامهم وفر بنفسه إلى مدينة المدية، بعد أن تشتت جيشه. وقد امتدت هذه الثورة حتى تخوم الصحراء لبوسعادة وبرج بوعريريج وضواحي المدية، وفشل الجيش بقيادة يحي آغا في إخمادها.

كما نشبت الثورة بناحية الأغواط وبادية الحضنة بسبب المجازر التي ارتكبها تشاكر باي قسنطينة(1814م-1818م)، والتي عجز عن إطفائها جعفر باي التيطري، وامتد لهيبها لنواحي سطيف والمدية وبوسعادة، وانظم إليها الزعيم بوترفاس، وشن غارة بناحية ندرومة سنة 1813م. ولم يخبو سعير الثورة إلا لما تضافرت على إخمادها كل من قوات مدينة الجزائر ووهران، وشارك فيها الداي بنفسه، فانطفأت. وفي سنة 1816م أعلنت فليسة الثورة على الحاميات، لكنها أُخمدت بوحشية، وأرغمت القبيلة على دفع غرامة سنوية. وأخضع عمر باشا(1815م-1817م) قبائل فليسة نهائيا لسلطة الديوان.

الثورة التجانية بعين ماضي سنة 1816م:

لم يعد للدرقاويين أي نفوذ في الجزائر، فاستغل سلطان المغرب الأقصى مولاي عبد الرحمان(1822م- 1859م)أصحاب الطريقة التجانية، ونتيجة لتحريضهم أخذت قبائل بابور وجرجرة تتمرد باستمرار، فاستخدم الحكام العنف حتى سنة 1826م.

وكان أحمد التجاني قد أسس طريقته في سنة 1781م، بعين ماضي. كان عابدا، صاحب طريق(صوفي)، وله مريدون وأتباع. ولما شاع أمره، في وطنه عين ماضي، تهاطل عليه المسافرون بهداياهم، وبعد استقرار بأبي سمغون، بعد قلق وتجوال(حملة محمد الكبير باي وهران على عين ماضي سنة 1785م، وفرضه ضريبة على المدينة، ثم حملة ابنه عثمان في سنة 1787م على المدينة، وهرب التجانيإلى أبي سمغون، واكتفاء الباي بفرض ضريبة قيمتها 17000 بوجو...) خاف مكائد السلطة الزمنية، بعد ملاحقة بايات وهران له وتنغيصهم عليه، فاتجه بأهله إلى فاس في سنة 1796م. ورحب به السلطان سليمان(1792-1822م)، وأحضره مجلسه، وأعطاه دارا كبيرة، وخصص له راتبا. واشتكى التجاني من "جور الترك وظلمهم"، وظل هناك إلى وفاته سنة 1815م. وكان قد أرسل أهل عين ماضي للتجاني بإرهاق الباي لهم، لكنه طلب منهم السمع والطاعة "لأميرهم التركي".وقبل وفاته أوصى لتلميذه مقدم زاوية تماسين، الحاج علي بن عيسى.

**ا) محمد الكبير التجاني(1827م):** عرفت الطريقة ازدهارا بعد عودة ولدَي أحمد التجاني إلى عين ماضي، لكن بعض المنشقين، الذين طردهم سي أحمد التجاني من عين ماضي إلى جبل عمور، جنَدوا مقاتلين من العثمانيين، وهاجموا المدينة، لكنهم فشلوا، فطلبوا دعم حسن باي وهران(1817-1831م) الذي حاصر عين ماضي سنة 1820م، فاضطرت الواحة لدفع الأموال(100 ألف بوجو) مقابل تخليه عنها، فاستلم الباي الأموال، ثم قصفها مدة 36 ساعة، دون أن يتمكن من اقتحامها، فانصرف عنها. وفي سنة 1822م حاول باي التيطري مصطفى بومزراق(1819-1830م) اقتحام الواحة دون جدوى، فتحول التجانيون من الدفاع إلى الهجوم.

والواقع أن خلافة محمد الكبير التجاني لوالده بعد وفاته، وعودته هو وأخيه محمد الصغير وباقي أفراد الأسرة إلى عين ماضي، لمواصلة رسالة أبيهم الدينية والاجتماعية بإشارة منه، هو ما جعل حكام الجزائر غير مرتاحين لهم. ومؤكد أن إقامتهم بالمغرب الأقصى لها دخل في ذلك، يُضاف إلى ذلك كثرة الوشاة والسعاة.

وكان الغرب الوهراني ما زال متأثرا بأحداث ثورة درقاوة، وصار البايات يتخوفون من هذه العائلة، لذلك قاد الباي حسن حملة عسكرية ثانية على عين ماضي سنة 1825م، واتهم التجانيين بالإعداد للثورة على غرار ابن الشريف الدرقاوي، وحاصر عين ماضي شهرا، ثم أبرم صلحا مع الشيخ محمد التجاني على أن يلتزم بدفع 20 ألف **ريال** نقدا للبايلك، و500 **ريال** كل سنة، فرفع الباي الحصار وعاد لوهران.

وكان الحكام يرهبون سطوة محمد الكبير، فبعد عودته من الحج سنة 1824م، وبعد ما لحقه من الباي حسن، ظهر له مقاتلة العثمانيين، فدعا الناس لطاعته، والخروج على السلطة الزمنية، فوافقه أهل النواحي، وتحالف مع حشم غريس "لأنهم أصحاب فتن، فكلما قام ثائر إلا وكانوا أنصاره".

لكن عند لقاء الفريقين سنة 1827م، تقهقر الحشم (اشترى الباي ذممهم) ومن رافقهم، وبقي التجاني في 300 من أعراب زكور فقط، ربطوا أنفسهم، وقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم. وتمكن حسن باي من محمد الكبير التجاني بعد هذه الخيانة في سهل غريس قرب معسكر، المدينة التي أراد محمد الكبير نزعها من الإدارة العثمانية، ودفن هناك، وبعث الباي برأس التجاني إلى الجزائر، وعُلقت بباب جديد. و"لكثرة ما كانوا يخافونه أرسلوا سيفه إلى السلطان محمود خان"**(**1785م-1839م)، فتوجه نشاط التجانية نحو الصحراء والسودان.

**ب) محمد الصغير التجاني(1851م):** كان أميل للهدوء،وبقي بعين ماضي بعيدا عن السياسة، واكتفى بالمصالح الدينية للطريقة. لكن عندما تخلَف عن بيعة الأمير، ورفض الدخول في سلك "الجماعة" هاجمه الأمير عملا بقوله – ص- كما في الصحيح:"لا يحل أمر في مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق، والتارك لدينه المفارق للجماعة"، و"من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية"، لهذا مال التجانيون للفرنسيين. وقد تحالف أولاد سيدي الشيخ مع الأمير عندما حاصر عين ماضي سنة 1838م، وذلك لمنافسة التجانية لزوايا الشيخية في أقصى الجنوب الغربي في الصدقات والزيارات. (انظر . Louis Rinn : Nos frontières sahariennes, p 181

ثوررات النمامشة والأوراس:

اتحدت النمامشة مع الحراكتة، سنة 1797م وتمردوا على النظام، انتصر عليهم مصطفى الوزناجي باي الشرق(1795-1798م). كما تمردت قبائل الحنانشة والحراكتة والنمامشة بين سنوات 1802م-1805م. التمرد الأول قضى عليه مصطفى إنكليز باي الشرق(1798-1803م)، والثاني قضى عليه عثمان باي الشرق ابن محمد الكبير، محرر وهران.

كما تمردت قبائل النمامشة في الأوراس سنة 1817م، ولم يستطع تشاكر باي القضاء على شوكة القبيلة. وفي سنة 1822م رفضوا دفع الضرائب المستحقة عليهم مما دفع الباي إبراهيم بن علي(1822- 1824) لشن حملة عسكرية ضدهم، وكانت النتيجة مصادرة حوالي 40 ألف رأس غنم.

وعاودت قبائل النمامشة وأهل الأوراس الثورة في عهد أحمد باي(1826م-1837م) فأصدر الداي أمره لباي قسنطينة للقضاء عليها ومعرفة سبب الثورة. توجه الباي للناحية الغربية للبايلك ورفع المظالم، وقاتل أولاد سالم القاطنين بالرحبات فأخضعهم.